

# نعمان يسترد لونه

ابراهيم نصر الله

- مقاطع متفرقة من القصيدة -

\* \* \*

فاتحة:

تسبط الشمس سطح المدينة  
تدخل بوابة الصحو  
يا أيها البشر الداخولون إلى دمهم  
من غبار الطريق  
اخلعوا جلدكم وارتدوها  
وأحزانكم.. واسكنوها  
واعملوا أن تظل لكم حنطة  
وإلا تغيب  
- يا أيها البشر الدا... -

\* \* \*

في ارتحال المدينة صوب الشوارع  
يفتتح النهر بين عذاباته وجهة  
هنا يكبر الحلم حتى يلامس عصفورة البحر  
أو خصر سيده بارتفاع المآذن  
كل المآذن  
يقبض نعمان كفيه  
لا شيء غير خطوط التعب  
ونافذة البيت  
صورة جدته  
وإطار من الحزن  
يبسط نعمان كفيه ثانية  
فلا تسقط النافذة  
ولا صورة الجدة الطيبة  
ولا حزنه

\* \* \*

يعن في البحر والسيدة  
وحين يفاجئه الشرطي

يللم رائحة البحر

زرقته الطيبة

يللم خصر الجميلة

ضحكتها المتعبة

وإذ يتعد خطوتين من القيد

يعبره الخوف

[ماذا لو أي نسيت من البحر

قطرة ماء على شفتي

ومن المرأة الحلم برعم لوز

على شفتي

وماذا لو أي

وماذا لو أي]

«كفاك

أمامك يوم من القهر والخبرين

وخلفك تعدو البحار

وبيارة البرتقال

وحزن العاصفير

والياسمين

وأنت تزأج صدرك بالطلقات

وعينيك بالطعنات

وجوعك بالجوع»

- كان أبو أحمد الطيب الذكر

والدامي الذكريات يلاحقه -

«ثمان وعشرون من سنوات الفجيعة

تشقب راسك

والصمت منسكب فوق صدرك

ماذا لو انك أعلنت حبك للشجر

وللناس.. للبحر.. للمصلقات

وللمطر

وجئت مساء إلى القاعدة!!

\* \* \*

الطلقة:

قطعت هدأة الفجر

لم تمنح الأفق وقتاً ليجمع أشجاره

فترامي المدى دامياً في العيون

ولم تمنح الذاهبين إلى خبزهم..

يومهم

فتداولنا الصمت والأسئلة

غمش الموت في اللحظة المقفلة

إنها مقبله

إنها مقبله

إنها مقبله

القتيل الأول

يغمس اليوم في خطوه

وكذا يغمس العمر

أجل من أن يموت

وأتعب من أن يعيش

يقبل أطفاله ونحيبهم

عينيه في صدر زوجته

\* \* \*

ركب الأرض حتى حدود الضحج

ولا شيء في الدم أكبر من لحظة الاشتباك

همست في عروق يديه البلاد

وما زال يرسمها

مرة بيدرا

مرة شجرة

ركضت في عروق يديه البلاد

فقال إلى قلب زوجته قبل حلمين

حدثها

أغرق الوقت في غيمة ترتديها

- آه أعشق هذي البلاد

واقفقد الأرض فيها

\* \* \*

كان الفراق طويلاً  
فإذا تحيى  
\* هذا المنافي  
- لماذا - لماذا  
\* ليخلقها من جديد  
- وما تترك الآن للناس خلفك  
\* حلمي وسر المحبة  
- نعمان.. هل تعرف البحر  
\* يعرفني..  
آه عانقتي مرة في الطفولة  
فإنظف الدم في جسدي  
اشتعل الخوف  
كنت صغيراً  
وكان كبيراً!  
وحين ارتدت رثتي القنبلة  
بكييت على موجة تابعتني  
بكييت على زرقة لوحتي  
- أنعمان..  
\* لا تفصل البحر عن شفتي  
سيقتلني ظمأ البيد  
لا تفصل النهر عن قامتي  
ستنكرني شمس هذي المواعيد  
اترك يدي للطيور  
واغنيتي للرؤى الصافية  
وقلي لأيامنا الآتية

نعمان يسترد لونه:  
رجل باسق  
ودم برعم  
عامر بالهوى  
بالندی مفعم  
تشتهيه الطيور  
لها فيه شمس  
يبتكر اليوم  
يتبعه الأمس  
هذي المدائن أصغر من جسد الشجره  
وأضيق من وحشة الذكريات  
يفاجيء نعمان أحزانه فتفر  
فينهمر الورد والشرفات  
يوقع في الأرض خطوطه  
يزرع « الحلم » بين أصابعه  
ثم يحفر  
حتى يلامس مهجته  
اشتعلني الآن  
نعمان يهدأ  
يعيد التفاصيل  
يفرق بالصحو أجزاءه  
ويسير إلى دمه طلاقات  
كلما ابتعد البحر في السنوات  
\* \* \*

ونعمان يعشق طلقته حين يطلقها  
وحين يفر يجنّبها  
في ثنايا القميص  
ونعمان يطلق ضحكته  
فتجتمع النسوة المتعبات على ضوئها  
آه تعشق كل النساء وتفتقد  
البحر فيهن  
تعشق كل النساء  
وتفتقد الظل في صوتهن  
وتعشق هذي البلا  
وتفتقد الأرض فيها  
\* \* \*

الدخول في الأزرق:

يفتح النهر بين يديك مواسمه  
شهداء من الحب والعشب  
تغفو البلاد على بعد كأسين من  
وجع الماء  
- نعمان... ماذا تحيى في صدرك الآن للبحر

قطعت هدأة الفجر  
لم تمنح الأفق وقتاً ليجمع أشجاره  
فتراعى المدى دامياً في العيون  
أحتمى بيديه إذ انطلقت  
عبرت صدره  
خرج الورد محتماً بدمه  
ونعمان يركض  
يركض  
يركض  
يا أم أحمد  
زوجك حلمي زرقة البحر  
أمواجه...  
نصف لقمته  
ولكنني آه حين اعترى الأرض  
صوت الرصاص  
تركت الزهور لجثته

\* \* \*

من أي أغنية سوف يحضر  
نعمان وجه القليل الجميل؟  
ليحفظ هدأته للأمامي  
وقامته للنخيل؟  
ومن أي درب سيعبر نعمان  
كيف يغافل طلتهم  
ويجنّب في القلب حلم القليل؟

\* \* \*

هوامش على جثة القليل الأول:

يدخل اليوم من حالة القنبلة  
ويسيل مع الدم حتى النهار  
يناصره الحلم.. والمتعبون  
فيسعى إلى ظله الانفجار  
تستوي مدن الأرض فيه  
ولا يستوي دمه بالأحاديث!  
- يا امرأة اطلقوا زوجها للبلاد  
إذ اقتحموا يومه

لماذا ترددين عن بابك البحر حين يجيء؟

\* أخاف عليه

- لماذا ترددين عن صدرك النهر حين يفيض؟

\* أخاف عليه

- وكيف ترددين عن قلبك الخوف في

وحشة الليل

\* أغلق نافذتي وأعد دمي للصغار.

\* \* \*